سلسلة آفاق عربية

176

أحبك من هنا إلى بغداد

دنيا ميخائيل



قصائد مختارة





أحبكِ من هنا إلى بغداد

قصائد مختارة

دنيا ميخائيل

وزارة الثقافة

الهيئة
العامة
لقصور
الثقافة

سلسلة
آفاق عربية

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• أحبك من هنا إلى بغداد
• دنيا ميخائيل
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة 2015م
• تصميم الغلاف:
أحمد اللباد
• المراجعة اللغوية:
ياسمين مجدى
• رقم الإيداع: ٤٢٢٠/ ٢٠١٥
• الترقيم الدولى: 3-0190-91-977-978
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 أ شارع أمين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

176

سلسلة شهرية تعنى بنشر أعمال الأدباء العرب

الأراء الواردة فى هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف فى المقام الأول.

أحبكِ من هنا إلى بغداد

لارســـــا

كأنَّ آخرَ بيضةٍ

في العالم

ستسقطُ مني

على الأرض.

هكذا أتحركُ

وأنا أحملكِ بداخلي.

كأنكِ ترسمينَ الأشكال في طريقكِ لأن تكبري:

الدائرةُ امرأةٌ بلعت الكرةَ الأرضية

المستطيلُ سريرٌ متنقل

المثلثُ وجهُ الطبيب

المربعُ ساعةٌ لا تبالي بالمواعيد.

كأنكِ رسولة جديدة

تبعثين لثغاتٍ وإشاراتٍ الى الكون

فأنسى أعدائي كلّهم

أتركهم يذوبون معاً

رجالَ ثلج مسالمين.

أكتبُ اسمكِ بالطباشير

مزجاً من الحروف الشمسية والقمرية،

ليالٍ من التهويدات من أجل الأخبار السارّة

أسئلة ما بعد الخروج

رؤيا القوارب الورقية بسعادتها البسيطة

سرّ المكان حيث أخفينا حبل المشيمة

أجوبة من الخرخاشة..

نقتسمُ العالمَ

خبزاً

أو مطراً

أو معطفاً كبيراً علينا

ونرتبكُ

لأننا

- ولو نهزُّ أجنحتَنا -

لا نطير.

تتثاءَبين

فأقطفُ النجومَ من نعاسكِ

وألصقُها في الدفتر

عساها تسلّيكِ

عندما أغيب.

تبدأين المشي

فتتبعين القمر

وأنا أتبعكِ

في الخلفِ سرابُ بلدٍ

لم تولدي فيهِ.

تلوّحين بيدكِ

فأفهم أنك تمزجين الأنهار

والبحيرات

والقارات

بملعقة شاي أو قصبة

تحملين الفراتَ والأطلسي

معاً إلى المدرسة

ترشّينَ الألوانَ

السمراءَ والشقراء

عند درجات الحرارة

المرتفعة والمنخفضة

فتتصالحُ الجهاتُ كلُها

لأنك جميلة يا لارسا،

ومثل كراتِ ثلجٍ تتدحرجُ إلى زوالها

تصطفُ البلادُ جميعها

فتوقفُ القتالَ لحظةً

لأنكِ جميلةٌ يا لارسا،

تفتحينَ ذراعيكِ

فأعرفُ تماماً كم أحبكِ،

أحبك من هنا الى بغداد

وأحبك أكثر من كل الكلام

وأحبك أعلى من الدخان

في المدينة

وأحبك أقوى من صوت الانفجارات

وأحبك أعمق من جرحٍ

يتبادلهُ عراقيون وأمريكيون

بقرب عبوةٍ ناسفة

وأحبك أحلى من زنبقة

تتفتح تواً في الصباح

وأحبك أدفأ من عش

سيكتمل بعد قشة واحدة وزقزقة

وأحبك أوسع من الخوف

حين يسيلُ من الحافات

وقتَ الحرب

من هنا الى بغداد

ذهاباً واياباً

أحبكِ

ألواح

وضعتْ أذنها على الصَدَفة

أرادت أن تسمع كلَّ الكلمات

التي لم يقلها لها

سنتمتر واحد

يفصل بين جسديهما

المتقابلين تماماً

في الصورة

وابتسامة مؤطرة

مدفونة تحت الأنقاض

كلما ترمي حصاك

في البحر

أتموجُ

قلبي صغير جداً

لذلك يمتليء بسرعة

الماءُ لا يحتاجُ الى كفاحٍ

حتى يختلط بالماء

ويملأ الأمكنة

الشجرةُ لا تسأل لماذا لا تتحركُ الى غابة أخرى

ولا أي سؤال آخر بلا معنى

هو يشاهد التلفزيون

وهي تمسك رواية

على غلاف الرواية

رجل يشاهد التلفزيون

وامرأة تمسك رواية

في الصباح الأول

من السنة الجديدة

سننظرُ كلنا

الى الشمس نفسها

رفعتْ رأسه الى صدرها

لم يستجب

كان ميتاً

الشخص الذي نظرَ الي طويلاً

والذي نظرتُ اليه طويلاً

والذي لم يعانقني يوماً ولم أعانقهُ

خربَّ المطرُ نصفَ الألوان التي تحيطهُ

في لوحة قديمة

لم يكن مع الأزواج الذين ضاعوا وعُثِرَ عليهم

لم يأتِ مع أسرى الحرب

ولا مع الطائرة الورقية

التي نقلتْها في الحلم

إلى مكان آخر

وهي تقفُ أمام الكاميرا

لتُلصق ابتسامتُها

في جواز السفر

تمرٌ

مكدس

على

الرصيف

قبلتُك

شَعَر رابنزل

المدود

من النافذة

الى الأرض

انتظاراتُنا

الظلال التي تركها السجناءُ

على الجدار

أحاطتْ بالسجّان

وأضاءتْ له وحدتهُ

لستُ أمكَ ياوطن

فلماذا تبكي هكذا

في حضني

كلما أصابك اذى ؟

لا عليك من هذا الطائر

يأتي كل يوم

يقف على طرف الغصن

يغني

ساعة

ساعتين

لا يفعلُ أي شيء آخر

لا شيء يجعلهُ أكثر سعادة

مفاتيح بيوت

بطاقات هويّة

صور متآكلة بين العظام

مبعثرة

في مقبرة جماعية

اللغة العربية

تحب الجمل الطويلة

والحروب الطويلة

والأغاني الطويلة

والسهر

والبكاء على الأطلال

والعمل من أجل حياةٍ طويلة

وموتٍ طويل

بعيدون عن البلد

ذلك هو كل ماتغيّرَ فينا

في العراق، تركتْ سندريلا حذاءَها

ورائحةَ الهيل المنبعث من .قوري،الشاي

وتلك الزهرة الكبيرة كالموت بفمهِ المفتوح

رسائل الكترونية سريعة

تُشعلُ ثوراتٍ

وحيواتٍ جديدة

في انتظارتحميلٍ

وطنٍ ليس حفنةَ تراب

بوجهِ هذه العبارة:

.لا نتائج مطابقة لهذا البحث.

اثارة الكلب حينما يجلب الخشبة لصاحبهِ

هي لحظة فتح الرسالة

مثل الغيوم

نعبرُ الحدودَ بخفة

لاشيء يحملنا

لكننا -في سيرنا- نحملُ ذاكرةَ

مكانٍ آخر

ومطراً

ولكنة

كم مثيرُ أن تظهرَ في عينيه

لاتفهم مايقولهُ لها

مشغولة بمضغ صوتهِ في فمها

تنظر الى فمهِ الذي لن تقبّله

الى كتفه الذي لن تبكي فوقه

الى يده التي لن تلمسها

الى الأرض حيث ظلاهما يلتقيان

الحرب تعمل بجد

كم هي مجدّةٌ الحرب

ونشطة

وبارعة؛

منذ الصباح الباكر

توقظ صفارات الانذار

تبعثُ سياراتِ إسعاف

إلى مختلف الأمكنة

تؤرجح جثثاً في الهواء

تزحلقُ نقالاتٍ إلى الجرحى

تستدعي مطراً من عيون الأمهات

تحفُر في التراب

تُخرج أشياء كثيرة

من تحت الأنقاض

أشياء جامدة براقة

وأخرى باهتة ما زالت تنبض

تأتي بالمزيد من الأسئلة

إلى أذهان الأطفال

تسلّي الآلهة بإطلاق صواريخ

وألعاب نارية في السماء

تزرعُ الألغامَ في الحقول

تحصدُ ثقوباً وفقاعات

تدفعُ عوائلَ إلى الهجرة

تقفُ مع رجال الدين

وهم يشتمون الشيطان

(المسكين يدهُ مازالت في النار تؤلمهُ)

الحربُ تواصلُ عملها صباح مساء

تُلهمُ طغاةً لإلقاء خطب طويلة

تمنحُ الجنرالات أوسمةً

والشعراءَ موضوعاً للكتابة

تساهمُ في صناعة الأطراف الإصطناعية

توَفُر طعاماً للذباب

تضيفُ صفحاتٍ إلى كتاب التاريخ

تحققُ المساواة بين القاتل والقتيل

تعلّمُ العشاقَ كتابة الرسائل

تدرّبُ الفتيات على الانتظار

تملأُ الجرائد بالمواضيع والصور

تشيّدُ دوراً جديدة لليتامى

تنشّطُ صانعي التوابيت

تربتُ على أكتاف حفاري القبور

ترسمُ ابتسامةً على وجه القائد

إنها تعملُ بجدٍ لا مثيل له

ومع هذا لا أحد يمتدحها بكلمة.

صانع أحذية

صانع أحذية ماهر

طوال عمره

يدق المسامير

يسوّي الجلود لمختلف الأقدام:

أقدام تغادر

أقدام تركل

أقدام تغوص

أقدام تتبع

أقدام تركض

أقدام تدوس

أقدام تتهاوى

أقدام تقفر

أقدام تزلّ

أقدام لا تتحرك

أقدام ترتجف

أقدام ترقص

أقدام...

الحياة حفنة مسامير

بيد صانع أحذية.

أكياس عظام

يا للحظ!

عثرتُ أخيراً على عظامه

جمجمتهُ أيضاً في الكيس

الكيسُ بيدها

يشبهُ باقي الاكياس

في الأيادي المرتجفة الأخرى

عظامهُ تشبه آلافَ العظام

في المقبرة الجماعية

جمجمتهُ لا تشبه

أي جمجمةٍ أخرى

عينان أو ثقبان

رأى بهما أكثر مما ينبغي

أذنان

مرتْ بهما موسيقى

لها

قصةٌ

خاصةٌ

به

وحدهُ.

أنفٌ

لم يعرفْ هواءً نقياً

فمٌ مفتوح

مثلَ هاوية

لمْ يكنْ كذلكَ

عندما قبّلها

هناك

بهدوء

خارج هذا المكان الصاخب

بالجماجم

والعظام

والتراب

المكان المنبوش بالاسئلة:

ما معنى ان تموتَ كلَّ هذا الموت

في مكان يعزفُ فيه الظلامُ

كلَّ هذا الصمت؟

ان تلتقي الآن

مع أحبائك

بكلِّ هذه التجاويف؟

أنْ تعيدَ إلى أُمكَ

بمناسبةِ الموت

حفنةَ عظامٍ

كانتْ أهدتها لكَ

بمناسبة الولادة؟

أنْ تغادرَ

بلا شهادةِ موتٍ ولا ولادة؟

فالدكتاتور لايعطي فاتورة

عندما يأخذُ حياتك

الدكتاتور لهُ جمجمةٌ أيضاً

جمجمةٌ هائلة

تتوصلُ لوحدها

الى حلِّ مسألةٍ حسابية

تضربُ الموتَ الواحدَ بالملايين

ليساوي الوطن

الدكتاتور

مخرجُ مأساةٍ عظيمة

لهُ جمهورٌ ايضاً

جمهورٌ يصفق

تصفيقاً

ترتجُ لهُ العظامُ

في الكيس

الكيس المليء

بيدها

أخيراً

ليس كجارتها التي - يا للخيبة -
لم تعثرْ على كيسِها بعد.

أميركا

لا تسأليني رجاءً، أميركا

لا أذكر

في أي شارع

أو مع مَن

أو تحت أية نجمة

لا تسأليني

لا أذكر لون الناس

ولا تواقيعهم

لا أذكر إذا كانت لديهم وجوهنا

وأحلامنا

إذا كانوا يغنون أو لا يغنون

يكتبون من اليسار أو اليمين

أو لا يكتبون

ينامون في البيوت

أو على الأرصفة

أو في المطارات

يمارسون الحب أو لا يمارسون

لا تسأليني رجاء، أميركا

لا أذكر أسماءَهم

ولا أماكن ولادتهم

لا تسأليني...

لا أذكر

كم كانت الساعة

ولا تحت أي طقس

أو لغة

أو عَلم

لا تسأليني...

لا أذكر كم ساروا تحت الشمس

وكم ماتوا

لا أذكر شكل القوارب

أو عدد المحطات

كم حقيبة حملوا

أو تركوا

جاؤوا بتذمرات

أو بلا تذمرات

لاأذكر

كم نجمة حسبوا

في اثناء الانتظار

لاتسأليني...

اتركي استماراتك للنهر

واتركيني لحبيبي يا أميركا

مضى وقت طويل

ونحن نتموج ضفتين بعيدتين

والنهر بيننا يتقلّب

مثل سمكة ناضجة.

مضى زمن طويل يا أميركا

(أطول من حكايات جدتي في المساء)

ونحن ننتظر الإشارة

لنرمي المحارة في النهر

ندري أن النهر مليء بالمحار

ولا تعنيه هذه المحارة الأخيرة

ولكن المحارة يعنيها ذلك

لا تسأليني...

تريدين بصمات

أصابعنا

بكل اللغات

وأنا كبرت

صرتُ أكبر من أبي

كان يقول لي في الأمسيات التي بلا قطار،

سنذهبُ يوماً الى أميركا

سنذهب يوماً

ونغني أغنية

مترجمة أو غير مترجَمة

عند تمثال الحرية

والآن يا أميركا الآن

أتيتكِ بلا أبي

فالموتى ينضجون قبل التين

لكنهم لا يكبرون يا أميركا

يأتون ظلاً وضوءاً بالتناوب

في منامنا

أو مع الشهب

أو يتقوسون قزحاً

فوق البيوت

التي تركناها

هناك

ويزعلون أحياناً

لأننا نتأخر عليهم

قليلاً..

كم الساعة الآن؟

أخشى أن يصلني بريدُك المسجل يا أمريكا

في هذي الساعة

التي لم تعد تصلح لشيء

فأداعبُ الحرية قطةً أليفة

ولا أدري ما أفعل بها

في هذي الساعة

التي لم تعد...

وحبيبي الذي هناك

عند الضفة الأخرى

من النهر

يحملُ لي زهرة

وأنا - كما تعرفون-

لا أحب الأزهار الذابلة

أحبُّ خطَّ حبيبي

يشرقُ كل يوم

في البريد

أنتشله من بين إعلانات تجارية

وعروض خاصة

بأن، اشترِ واحداً

وخذ الآخر مجاناً،

وخبر مستعجل

بانك ستربح مليون دولار

إذا اشتركتَ في هذه المجلة

وفواتير الحساب

للدفع بالتقسيط

أحبُ خطَ حبيبي

ولو يزدادُ ارتعاشاً كل يوم

عندنا صورة واحدة فقط

لحظة واحدة

هاربة أبداً في الصورة

أعرفها من جميع الزوايا

اللحظة الدائرية ذات السماء

غداً

يا أميركا

غداً

ستأخذنا

الليالي

بلا إطار

فنوقظ المتاحفَ من نومها

إلى الأبد

نصلحُ ساعاتنا العاطلة

وندقُّ في الساحات العامة

كلما فات القطار

غداً

يا حبيبي

غداً

نزهرُ ورقتين

لشجرة

نحاول الاّ نصبحَ خضرتَها

وحين نتهاوى متراقصين

ستأخذنا الريح

إلى الأمكنة التي سننسى أسماءَها

نشعر بالسعادة

من أجل السلاحف

لأنها تمضي في طريقها..

غداً يا حبيبي

غداً

سأنظر في عينيك

لأرى في التغضنات الجديدة

خطوطَ احلامنا القادمة

وحينما تضفر شعري الرمادي

تحت مطر

أوشمسٍ

أوقمر

ستعرفُ كلُّ شعرة

أن

لا شيءَ

يحدث

مرتين

كل قبلة بلد

لها تاريخ

وجغرافية

ولغة

وفرح

وحزن

وغزو

وخرائب

وأعياد

وساعة تدق..

غداً

يا حبيبي

غداً

سيرنُّ في الصندوق الخشبي

خاتمان

طالما التمعا

في يدين

مرتجفتين

من تشابك

في الغياب

غداً

سيعلنُ

الابيض

عن ألوانه كلها

فنحتفل بما كان ضائعاً

أو مختفياً في البياض

من أين لي أن أعرف يا أميركا

أي الألوان

كان أكثر أبتهاجاً

أو صخباً

أو غربةً

أو تفاعلاً مع بقية الألوان؟

من أين لي أن أعرف يا أميركا؟

شكل العالم

لو كانَ العالمُ مستوياً

مثل بساط الريح

لكانَ للأسى بداية ونهاية.

لو كانَ العالمُ مربعاً

لاختبأنا في احدى الزوايا

كلما لعبت الحربُ لعبة الغميضة.

لو كان العالمُ مدوراً

لدارت أحلامُنا بالتعاقب في دولاب الهواء

وتساوينا جميعاً.

إينانا

أنا إينانا

وهذه مدينتي

وهذا لقاؤنا

مدوراً

معبأً

أحمر.

هنا، قبل وقت ما

كان أحدهم

يطلب إغاثة

قبل أن يموت بقليل.

بيوت

كانت ما تزال هناك

بسطوحها

وسكانها

والشرثرات.

أشجار نخيل

كادت تهمس لي شيئاً

قبل أن تُقطع رقابُها

مثل بعض الغرباء في بلدي.

أبناء الجيران القدامى

أراهم في التلفزيون

وهم يتراكضون

بعيداً عن القنابل

والغارات

و أبو الطبر

أبناء جيراني الجدد

أراهم في الشوارع

وهم يركضون

لممارسة تمارين الصباح

وأنا هنا(ك)

مشغولة

بعلاقة الفأر بالكومبيوتر

أشاهدكم في الانترنيت

أميزكم

مقبرةً مقبرة

جمجمةً جمجمة

عظمةً عظمة

أراكم في منامي

أرى الآثار

متناثرة

ومكسورة

في المتحف

من بينها قلائدي

أصيح بكم:

اعقلوا يا أولاد الموتى

اعقلوا

كفاكم عراكاً

على ثيابي

وذهبي

كم أقلقتم منامي

وأفزعتم سربَ قبلات

عن أمتي

زرعتم

رمانات

وسجوناً

مدورة

معبأة

حمراء.

هذه ثقوبكم

على ثوبي

وهذا لقاؤنا.

السجين

إنها لا تفهم ما معنى ان يكون مذنباً

إنها تنتظر عند باب السجن

حتى تراه

لتقول له، ،اعتنِ بنفسك،

مثلما كانت تذكّره دائماً

وهو يذهب إلى المدرسة

وهو يمضي إلى العمل

وهو يخرج في إجازة

إنها لا تفهم ما يتفوه به الآن

أولئك الذين خلف المنصة

بملابسهم الرسمية

حينما رأوا أن يودع هناك

مع غرباء ذوي أيام موحشة

لم يخطر ببالها يوماً

وهي تهوِّد له عند المنام

في تلك الأيام البعيدة

أن ينتهي إلى هذا المكان البارد

دونما نوافذ أو أقمار

إنها لا تفهم

أم السجين لا تفهم

ما معنى أن تغادرهُ

لمجرد أن الزيارة أنتهتْ.

مكتب سفريات

كومةُ مسافرين على الطاولة

غداً تقلع طائراتُهم

تبقّعُ السماءَ بالفضة

وتهبط كالأخبار

على المدن

مستر جورج يقول ان حبيبته

ما عادت تبتسم له

وانه يريد أن يسافر مباشرة الى روما

ليحفر هناك قبراً كابتسامتها

ولكن ما عادت الطرق كلها

تؤدي الى روما،، أذكّرهُ

أمنحهُ بطاقةً لشخص واحد

يريدُ أن يجلس جوار النافذة

ليتأكد ان السماء

هي نفسها في كل مكان.

أفعال مهشمة

بعد ساعة من التأجيل

أقلعت الطائرة بركابها المشغولين

المضيفةُ لن تبتسم

الطالبُ لن يقرأ الرسالة

الممثلة لن تقوم بدور الأميرة

رجل الأعمال لن يحضر الاجتماع

الزوجُ لن يرى زوجته

المدرسّةُ لن تضع نظاراتها

خريجة الجامعة لن تتسلم عملها الجديد

العاشقُ لن يحتفل بعيد ميلادها

المحامي لن يدافع عن الموّكل

المتقاعدُ لن يكون هناك

الطفلةُ لن تسأل المزيد من الأسئلة

الطائرة لن تحط.

كنتُ مسرعة

البارحة أضعتُ بلداً

كنتُ مسرعةً جداً

ولم أنتبه حين سقط مني

مثل غصنٍ منكسر

عن شجرةٍ لاهية.

أيها العابرون

أذا عثر عليه أحدكم

ربما في أحدى الحقائب

المفتوحة في العراء

أو محفوراً على صخرة

مثل ندبة جرح فاغرة

أو ملفوفاً

بأغطية المهاجرين

أو مُلغى

مثل ورقة يانصيب خاسرة

أو حائراً منسياً في المطهر

أو مندفعاً بلا غاية

مثل أسئلة الأطفال

أو متصاعداً مع دخان الحروب

أو متدحرجاً في خوذة على الرمال

أو مسروقاً في جرة علي بابا

أو متنكراً بزي شرطي

هجّج السجناءَ وهرب

أو متقرفصاً في ذهن امرأة

تحاول ان تبتسم

أو متناثراً

مثل أحلام القادمين

الى أميركا

أذا عثر عليه أحدكم

فليعدهُ اليَّ

إنهُ بلدي..

كنتُ مسرعةً جداً

حين أضعتهُ البارحة.

الجوهرة

لم يعد مطلاً على النهر

إنه ليس في المدينة

ليس على الخريطة

الجسرُ الذي كان...

الجسرُ الذي كنا...

نعبرهُ كل يوم

الجسرُ..

رمتهُ الحربُ في النهر

مثلما فعلت تلك السيدة

بجوهرتها الزرقاء

من فوق سفينة .تايتانيك.

آثار

أتراكم تحزرون

كم رعشة سرت بين هذي الجدران؟

أستميزون

بين رعشة الخوف

من القنبلة

ورعشة القبل؟

بين زاوية خبأتنا من الصوت

وأخرى خبيناها بالصور؟

أتراها تخبركم

هذي النوافذ

عن بعض انتظاراتنا

رواحنا ومجيئنا

بين الباب والجدار؟

تلقفنا لكل إشاعة أو خبر؟

أتراكم تحزرون
كم أغنية صدحت
من الغرفة العليا
ذات الذبذبات والسهر؟
أتراكم تحزرون
إذا تعثرتم
بتلك العتبة المرتفعة
أيما خطوات مرت من هنا؟
أتعرفون من عاد
ومن لم يعد؟
أتراكم تحزرون
أنتم يا من سكنتُم بيتنا
أتراكم تحزرون
بأنه لا شيء يهم أحياناً؟

بابا نويل

بلحيته الطويلة كالحرب

وبزته الحمراء كالتاريخ

وقف بابا نويل مبتسماً

وسألني ان اطلب شيئاً

,أنتِ فتاةٌ طيبة"، قال،

"لذلك تستحقين لعبة."

ثم أعطاني شيئاً يشبه الشعر

ولأنني ترددتُ،

طمأنني، لا تخافي يا صغيرتي،

أنا بابا نويل،

أوزعُ الجمالات للأطفال،

ألم تريني من قبل؟

قلتُ، ولكن بابا نويل الذي أعرف

يرتدي بدلة عسكرية

ويوزع علينا كل عام

سيوفاً حمراً

ودمى للأيتام

وأطرافاً اصطناعية

وصوراً للغائبين

نعلّقُها على الجدران.

خمس دقائق

بعد خمس دقائق

سينتهي العالم.

صاحب المخزن التجاري القريب

وضع تواً علامة "مغلق"

ومضى

كأنه يعرف ألاّ وقت للعمل

هناك محلات أخرى

مفتوحة

أصحابها مازالوا منهمكين

ولكن العالم سينتهي بعد...

جماعةٌ من الصبية المرحين

يسرعون في عبور الشارع

الإشارةُ حمراء

سائق الباص يعدّلُ مرآته قليلاً

مازالت هناك بضعة مشاهد

ستمرُّ عبر المرآة

السائق ينطلق الآن

فالإشارةُ خضراء

أنها ستظل تتبدل

حتى بعد خمس دقائق

هو ينظر في ساعته

وينتظُر الباص القادم

في الساحة العامة

هما يمرّان بالتماثيل

ويبتسمان تحت الشمس

والتماثيلُ ساهية

تحدق بثبات

إلى لا شيء

سائحٌ يتجول بفضول

ويلتقطُ صوراً

لما سيصبحُ غائباً بعد قليل..

في المستشفى الأبيض الذي هناك

تضعُ نساءٌ مواليدَ جدداً

بعد فوات الأوان

ربما يغادرون العالم بلا أسماء

وفي أحدى الردهات

سيُترك الأطفالُ

في الأنابيب

الى الأبد

بينما الفأر اللابط في المختبر

الواقع تحت التجربة

سيتخلص أخيراً

من تلك العين الكبيرة

التي تراقبهُ

طوال الوقت

الامتحانُ لم يكن صعباً

ولكن الوقتَ انتهى

قبل الإجابة

وما عاد يهمّ

اذا كنتَ تعرف

أو لا تعرف .

شمّ الوردةَ وامضِ

إنها دائماً تدري

أن العالم سينتهي بعد دقائق.

القميصُ الأزرق خلف الواجهة

يبدو جميلاً جداً على "المانيكان"

اشارت اليه أحداهما

ثم توجهتا الى الباب الدوّار

نحو اعلانات برّاقة:

تنزيلات هائلة الآن

دواء جديد ضد التجاعيد

مساكن حديثة في المريخ بأقل الأسعار

سجائر غير مضرّة بالصحة وأشياء أخرى

ولكن العالم سينتهي...

متهمٌ آخر يتلقى حكماً

بالسجن مدى الحياة

المحامي يطلبُ استئنافاً

ولكن العالم...

مسافرون دفعوا باب المغادرة

آخرون دخلوا من باب القدوم

واحدة تُنزل حقيبتَها

وتلوّحُ بيدها

لستُ أنا

هناك من يلوّح لها من خلف زجاج المطار

لستَ أنت

لا أدري اذا التقيا

أم أن الوقت...

ذاك الطالب الجامعي

يفضّلُ السفر بالقطار

والأمرُ لا يختلفُ كثيراً

هذي اللحظة

كان أتفقَ مع صديقتهِ

للخروج في نزهة

لا أدري إذا انتهت النزهةُ

قبل نهاية العالم

أم أن العالم انتهى قبل النزهة؟

ربّة الأشياء الجامدة

،ذكريات عائدة؟

لا، في ساعة الموت

أريد أن أرى أشياء ضائعة

تعود بدلاً من ذلك،

فيسلاوا شيمبوريسكا

في ساعة الموت

تأتي ربةُ الأشياء الجامدة:

الشهادات

الوصفات الطبية

أوراق التأمين

أحجار البيت

الكتب

بطاقات الهوية

البوصلة بالعناوين المحفوظة

الحقيبة

الأثاث

الدفتر

الصور

الدبابيس

الدراهم

الشمعة المنطفئة

في الزاوية البعيدة.

نظرية الغياب

الفرض: أنا متوترة وأنت كذلك

لا نلتقي ولا نفترق

المطلوب اثباته: نلتقي في الغياب

البرهان: بما أن التوتر يحول الإنسان الى قوس

أذن نحن قوسان

لا يلتقيان ولا يفترقان (بالفرض)

أذن نحن متوازيان

اذا كان هناك متوازيان قطعهما قاطع (التوتر)

فان زواياهما المتبادلة متساوية (نظرية)

اذن نحن متطابقان (لأن الأشكال تتطابق أذا تساوت زواياها)

ونشكلُ معاً دائرة (مجموع قوسين متطابقين يساوي دائرة)

أذن نحن نلتقي في الغياب (من خواص الدائرة انها مجموعة

نقاط متجاورة ويمكن اعتبار كل واحدة منها نقطة تماس).

ورقة نصف محترقة في شارع المتنبي

أ هذه اشارة اذن؟

هذه الورقة المتطايرة؟

الورقة المتطايرة من كتاب نصف محترق؟

الكتاب النصف محترق في شارع المتنبي؟

شارع المتنبي الذي قطعتْ أحاديثَه قنبلة؟

القنبلة التي بعثرتْ كل تلك الصفحات؟

كأنها تبحث بيأس عن معنى؟

هذه الورقة تحديداً من «طوق الحمامة»؟

صعدتْ ونزلتْ؟

تسللتْ من بين الأجساد المتناثرة؟

لتلتصق بصدرها؟

أليستْ هي الأسطر نفسها تماماً؟

تلك التي أسمعَها إياها يوماً؟

«في مجيئي اليك أحثتُ كالبدر اذا كان قاطعاً للسماء

وقيامي – ان قمتُ – كالأنجم العالية الثابتات في الابطاء.»

شكو ماكو؟

رأيت طيفاً عابراً في مرآة

أحدهم همس شيئاً في أذني

قلتُ كلمةً ومضيت

قبور تناثرت مع حبوب اللقاح

ثغاء دخل الاجتماع

جنائن ظلت معلقة

قش تناثر من الكلام

ثمار لم تعد هناك

واحدٌ صعد على أكتاف آخر

آخر نزل إلى العالم السفلي

أمور أخرى تحدث في الخفاء

لا أدري ما هي

هذا هو كل شيء.

الطفل الفنان

- أريدُ أن أرسمَ السماء
- إرسمها يا حبيبي
- رسمتُها
- ولماذا تطش الألوان هكذا؟
- لأن السماء ليست لها حافات

...

- أريدُ أن أرسم الأرض
- إرسمها يا حبيبي
- رسمتُها
- ومَن هذه؟
- إنها صديقتي
- وأين الأرض؟
- في حقيبتها

...

- أريد أن أرسم القمر
- إرسمهُ ياحبيبي
- لا أستطيع
- لماذا؟
- تكسرهُ الموجةُ على الدوام

...

- أريدُ أن أرسم الجنة
- إرسمْها يا حبيبي
- رسمتُها
- ولكني لا أجد أي لون
- ليس لها لون

...

- أريدُ أن أرسم الحرب
- إرسمها يا حبيبي
- رسمتُها
- وما هذه الدائرة
- إحزري

- قطرة دم؟

- لا

- طلقة؟

- لا

- ماذا إذن؟

- زرٌ لإطفاء النور.

تحولات الطفل والقمر

رفعَ الطفلُ رأسَه

ليرى القمرَ المختبىء وراء البناية

ظل يطارد أحدهما الآخر

لم تعرف البنايةُ

مَنْ منهما قفز أولاً

ليرسم عند قدميها

بركةً حمراء؟

ذهب الطفل إلى النهر

ومثلما تنزل الصورة في المرآة

نزل الطفل إلى القمر الغارق في النهر.

وراء الكرة الهابطة من السماء

ركض الطفل عند الشاطىء

أما الرمال

فكانت تحصي آثار أقدام القمر

وهو يحمل الطفلَ إلى السماء.

الراهبة

الجبلُ متغير

الراهبةُ خرجت من الدير

هي التي لا تفهم في الجغرافية

...

النواقيس ميتةٌ

الراهبةُ أتخذتْ شكل دائرة

هي التي ترنُّ

...

الصلواتُ مكررةٌ

الراهبةُ تحللتْ الى أحجارها الأولية

هي التي تتلو فعل النسيان

...

الأبدية محيّرةٌ

الراهبةُ تأرجحت بين السماء والبحر

هي التي تفكر بزرقةٍ أخرى.

رأس السنة

(1)

هناك من يدق الباب

يالحزني

إنها السنة الجديدة وليس أنت.

(2)

لا أعرف كيف أضيفُ غيابَك إلى عمري

لا أعرف كيف أطرحني منهُ

لا أعرف كيف أقسمهُ في الأواني المستطرقة.

(3)

توقف الزمن عند الساعة الثانية عشرة

واحتارَ الساعاتي

. لا خلل في الساعة .

كل ما في الأمر

أن العقربين طال عناقهما

ونسيا العالم.

نظرة أورفيوس

ماذا لو أنهُ لم يقتلها

بنظرتهِ؟

لو أنهما في المطبخ

يهيئان القهوة

أو يتحدثان

عن الحرب التي لاتنتهي

أو يطفئان الشموع

لذكرى زواجهما الألف

مع أشباح ترقص في كل مكان

أو يستمعان الى أغنية

نسيا اسمها

أو يسعلان بملايين الذرات من الغبار المتطاير حولهما

أو يجلسان معاً

مثل تمثالين من الملح.

الصين

(1)

رأيتُ أفاعيَ

تلتفُّ

حولَ عنقِ امرأةٍ

لاأعرفُ مَن هيَ

بقربها

جبالٌ رماديةُ اللون

أمامها كلبٌ

قيلَ هو السنةُ الجديدة

خلفها رجال يتفاوضون

على بعد سنتيمتر آخر

أشكال نحيفة

تتشابك

من الأرض

الى السماء.

(2)

كل تلك النجوم

التي سقطتْ من السماء

إلى سطح السجن

ماكانتْ ستملأُ

كرسيكَ الفارغ.

هونغ كونغ

(1)

زهور

في كل مكان

في زخارف الصحون

والأساور

ومنفضات الدخان

في أربطة العنق الحريرية

في حواشي المعاطف

في السجاد

في الجدران

في وجبات الطعام

في اللوحات

في الكلام

وفي قدح الشاي

زهور تفوح برائحة سمك

زهور تنطلقُ ضحكاتٍ خجولة

من الأفواه

زهور تلمع في العيون

زهور تتمايلُ في يديها

زهور تتراكم الى بوذا

وهو جالس زهرةَ لوتس

يدل الى الطريق.

(2)

من نوافذَ بلا زجاجٍ

في بيوتٍ تُسرّبُ ماءً

وسمكاً

وأساطيرَ

الى النهرِ

ينظر الصيادون إلينا

نحن القادمين قبل قليل

من أعلى ناطحة سحاب

في هونغ كونغ،

ننظر اليهم

من قارب

يتجول في مياههم بلا استئذان.

ينظرون إلينا

من بيوت منخورة.

ننظرُ لنرى صفائحَ عتيقة.

ينظرون ليروا غيوماً متحركة.

ننظرُ

الى حياتهم المائية

عبر النهر

ينظرون

الى حياتنا اليابسة

التي تعبر النهر.

صخرة ملساء

حياتكِ صخرة ملساء تنسينها

على الطاولة

وتغادرين

بسعادة

كأنكِ تتبعين طيراً

يحملُ السرَّ بمنقارهِ.

تتوقفين

لتدحرجي الورقة العملاقة

من

القلب

الى

القدمين

حروفكِ

اليابانية

مدن

من البَيض

تسقطُ

أمام

أعيننا.

ظل دمعة

في زمن التحايا السريعة

والضوء الزائف

يسقط ظلُّ دمعة

على السماء

لا العجلات المسرعة

لا الطريق

لا الممحاة

قادرة على إلغائه

...

فوق الأغصان المتكسرة

تحلق طيورٌ لا مبالية

يتخلف طائر عن السرب

لا تقلقوا

سيلتحق عما قليل

إنه فقط منشغل بظل الدمعة

المتكسر على الأغصان.

حياة ثانية

بعد هذه الحياة

نحتاجُ الى حياة ثانية

لنطبقً ما تعلمناه

في الحياة الاولى.

نقترفُ خطأ بعد اخر،

نحتاجُ الى حياة ثانية

لننسى.

ندندنُ طويلاً في انتظار الغائبين،

نحتاج الى الأغنية كاملةً.

نذهبُ الى الحرب

ونفعلُ كلَّ مايقولهُ سَيمون،

نحتاج الى حياة ثانية

للحب فقط.

نحتاج الى وقت

حتى ننهي فترة الحكم في السجن

ونخرج أحراراً

في الحياة الثانية.

نتعلمُ لغةً جديدة،

نحتاجُ أن نمارسها أكثر

في الحياة الثانية.

نكتبُ الشعرَ ونمضي،

نحتاج الى حياة ثانية

لنعرفَ آراءَ النقاد بنا.

نركضُ

في كل الأمكنة،

نحتاج الى حياة ثانية

لنلتقط صورة.

الألمُ يحتاجُ الى وقتٍ ليلتئم.

نحتاج الى حياة ثانية

حتى نتعلّمَ كيف نعيشُ بدون ألم.

الطائرة

الطائرة القادمة من بغداد

تحمل جنوداً أمريكيين

ترتفع فوق

فوق القمر المنعكس

على مياه دجلة

فوق غيوم مكدّسة كالجثث

فوق قيثارة قديمة

فوق صدورهم الملطومة

فوق أناس مخطوفين

فوق خرائب تنمو مع الأطفال

فوق طوابير طويلة في دائرة الجوازات

فوق صندوق بندورا المفتوح.

الطائرة

بركابها المنهكين
ستحطُّ على بعد ستة آلاف ميل
من إصبعٍ مبتورٍ في الرمل.

في المتحف

إلاهةٌ سومرية صغيرة

تقفُ خلفَ الزجاج

ويداها الى أعلى

تلمسُ السماء.

في زيارتي الثانية

تكبرُ الإلاهةُ

تميلُ قليلاً

ويداها الى أسفل

تشيرُ الى الأرض.

في زيارتي الثالثة

تتمددُ أفقياً

ويداها الى الجانبين

تتهيأُ للنوم.

في زيارتي الأخيرة

تغمضُ عينيها

ويداها على صدرها

تخبيءُ سراً؟

في حوض السمك

سمكة تلتقي

سمكةً أخرى

وتضع بيضاً

زعانفها تلوّح لعشبة طرية

فتخرج الألوانُ

واحداً بعد الآخر

والفقاعاتُ كلامٌ

لايعني أحداً

العالم يصعدُ ويهبطُ

كل يوم

عبر عيني سمكة.

قمر منسى

عنده قصةٌ طويلة

عندها قصةٌ طويلة

تفاصيل

وأحداث

وشخوص.

لاشيء من ذلك يهمُّ

ليديهما المتشابكتين

في هذه اللحظة

في هذا المنسى.

ثمانون سنة مرت،

بأصوات تباعدتْ،

أبواب فُتحت وأُغلقتْ،

وأماكن امتلأت وفرغت،

بينما الريحُ

كنست الأسماءَ

والمواعيدَ

والملاحظات

و...

كلها ذابت في النهر

وهو يجري خلفهما.

عنده قصة طويلة

عندها قصة طويلة

لا يحكي لها شيئاً

لاتحكي له شيئاً

نصف قمر يطلُ على المكان

لاأحد يدري أين يختبئ نصفه الثاني.

أغنية من زمن آخر

ماظلَّ معي

على قيد الحياة

أغنيةٌ من زمن آخر.

تتبعني أينما ذهبتُ.

تركضُ ورائي.

أجعّدها ورقةً صغيرة

وأرميها بعيداً.

أفتحُ الورقة،

أعدّلها،

كلما تذكرتُ

واحداً من أصحابي الموتى.

الفنجان

قلبت المرأةُ الفنجانَ وسط الحروف

أطفأت الأنوارَ ماعدا شمعة واحدة

وضعتْ أصبعَها على الفنجان

وكررتْ كلماتٍ مثل تعويذة:

أيتها الروح.. إنْ حضرتِ أجيبي نعم

وبعد أن تحرك الفنجانُ الى اليمين حيث نعم

قالت المرأة: هل أنتَ حقاً زوجي الشهيد؟

تحرك الفنجانُ الى اليمين حيث نعم

قالت: لماذا رحلتَ عني بهذه السرعة ؟

تحرك الفنجان الى الحروف: ل ي س ب ي د ي

قالت: لماذا لم تهرب؟

تحرك الفنجان الى الحروف: هـ ر ب ت

قالت: وكيف أستشهدت أذن؟

تحرك الفنجان، ف ي ا ل خ ل ف

قالت، وماذا أفعل الآن بكل وحدتي؟

لم يتحرك الفنجان

قالت، اشتقت اليك

لم يتحرك الفنجان

قالت، هل تحبني؟

تحرك الفنجان الى اليمين حيث نعم

قالت، هل أستبقيكَ هنا؟

تحرك الفنجان الى اليسار حيث لا

قالت، هل آتي معك؟

تحرك الفنجان الى اليسار

قالت، هل من تغيّر في حياتنا؟

تحرك الفنجان الى اليمين

قالت، متى؟

تحرك الفنجان، 1996

قالت، هل أنت مرتاح؟

تحرك الفنجان —بعد تردد- الى اليمين

قالت، بماذا تنصحني؟

تحرك الفنجان، ا هـ ر ب ي

قالت، الى أين؟

لم يتحرك الفنجان

قالت، هل ستقع مصيبة أخرى ؟

لم يتحرك الفنجان

قالت، ما هي وصيتك لي؟

تحرك الفنجان الى حروف لا تشكل جملة مفيدة

قالت، هل تعبتَ من الأسئلة؟

تحرك الفنجان الى اليسار

قالت، هل أسأل المزيد؟

لم يتحرك الفنجان

تمتمت المرأةُ - بعد صمت،

أيتها الروح أرحلي بسلام...

قلبتْ الفنجانَ الى الأعلى وأطفأت الشمعة

ثم نادت على ابنها الذي كان في الحديقة

يصطاد الحشرات بخوذة مثقوبة.

زلزال

(إلى سكّان هايتي)

في الدقيقة الأولى

اهتزَّ غصنُ شجرة

تحت قدمِ الطائر.

في الدقيقة الثانية

اهتزت المدينةُ كلُها

تحت الطائر،

ولم يفهم سبباً

لتلك السرعة القصوى

للسقوط،

الولدُ الذي كان

يستحمُّ في النهر

والغريقُ الذي خلفه

والسائحُ في القارب الأبيض

والطالبةُ التي دستْ بجيبها
ورقةً موعدٍ غرامي
وسيارةُ الأجرة المشتركة
التي نفد بها البنزين
والأمُ التي صرختْ بابنها
لأنهُ كان في الشارع وليس في المدرسة
والمغني مع طبل التانبو
والراقصون العراة تحت الشمس
والطفلة مع دميتها المكسورة،
بدقيقة واحدة فقط
غاصوا تحت الأرض
والأشجارُ تحت الطائر
سقطتْ كلها
هذه المرّة ليس من أجل الورق
ولا من أجل القارب الأبيض
ولا من أجل الموعد الغرامي
ولا من أجل المدرسة ولا البنزين

ولا من أجل المنازل ولا الطبل

ولا من أجل الطفلة

ولا دميتها.

لعبة الحرب

في السنة الأولى من الحرب

كانا يلعبان ،عريس وعروس،

يعدّان كلَّ شيء على الأصابع:

الوجوه المنعكسة على النهر،

الموجات التي تكنسها وتختفي،

وأسماءَ الأطفال.

والآن كبرتْ الحربُ

وابتكرتْ لهما لعبةً أخرى:

الرابح هو من يعود من الرحلة

وحيداً

مليئاً بقصص القتلى

وخفق الأجنحة العابرة

فوق أشجارهم المكسورة.

الآن عليهِ أن يسحب تلال ترابهم

بخفة لايشعر بها أحد.

الرابحُ يرتدي قلادة

يتدلى منها نصف قلب معدني،

ومُهمتهُ بعد ذلك

أن ينسى النصف الآخر.

شاخت الحربُ

تركتْ الرسائلَ القديمةَ

والتقاويمَ

والصحف

تصفرُّ

بالأخبار

والأرقام

وأسماء اللاعبين.

بعد ألف ليلة وليلة

في العراق
بعد ألف ليلة وليلة
شخصٌ سيتحدثُ الى شخصٍ آخر.
أسواقٌ ستكونُ مفتوحةً
لزبائنَ عاديين.
أقدامٌ صغيرة ستدغدغ
قدمي دجلة العملاقتين.
نوارس ستفردُ أجنحتَها
ولا أحد يطلقُ عليها النار.
نساء يتمشينَ في الشوارع
ولا أحد يختطفهن.
ولن ينظرن الى الوراء بقلق.
رجال سيلفظون أسماءهم الحقيقية

ولن يتعرضوا للخطر.

أطفال سيذهبون الى المدارس

و يعودون الى البيت.

دجاجٌ في القرى

لن ينقر أطرافاً بشرية

فوق الحشيش.

جدل سيُقام

دونما عبوات ناسفة.

غيمةٌ ستمرّ

فوق سياراتٍ

تتوجه الى العمل كالمعتاد.

يدٌ ستلوّح

لشخصٍ يخرج

أو يعود.

الشمسُ ستشرقُ بالتساوي

على الذين يستيقظون

و الذين لن يستيقظوا.

شيءٌ عاديّ سيحدثُ

كل مرة

تحت الشمس.

ضمائر منفصلة

هو يلعبُ قطاراً

هي تلعب صفارة

هم يرحلون

...

هو يلعبُ حبلاً

هي تلعبُ شجرة

هم يتأرجحون

...

هو يلعبُ حلماً

هي تلعبُ ريشاً

هم يطيرون

...

هو يلعبُ جنرالاً

هي تلعبُ جيشاً

هم يعلنون الحرب.

ضمائر منفصلة أخرى

أنتَ تدرسُ التاريخ

أنا أدرسُ عينيك

نحنُ ندوّرُ العالم

أنتَ تبتعد وتصبح نقطة

أنا أبتعد وأصبح نقطة

نحنُ نرى مستقيماً بين النقطتين

أنت تقترب

أنا أقترب

نحن ننمو مثل عجينة قمر

أنتَ تجلب صندوق لعبة الحرب

أنا أفتح الغطاء

نحن نُخرج أجساداً خشبية مكسورة.

المحتوى

سلسلة آفاق عربية

أحبك من هنا إلى بغداد
وأحبك أكثر من كل الكلام
وأحبك أعلى من الدخان
في المدينة
وأحبك أقوى من صوت الانفجارات
وأحبك أعمق من جرحْ
يتبادلهُ عراقيون وأمريكيون
بقرب عبوةْ ناسفة
وأحبك أحلى من زنبقة
تتفتح توًا في الصباح
وأحبك أدفأ من عش
سيكتمل بعد قشة واحدة وزقزقة
وأحبك أوسع من الخوف
حين يسيلُ من الحافات
وقت الحرب
من هنا الى بغداد
ذهابًا وإيابًا
أحبكه.



الهيئة العامة لقصور الثقافة
www.gocp.gov.eg